القصص

من أساطير الإغريق

هِيرو ولِيانذر

المأساة الغرامية المؤلمة

للأستاذ دريني خشبة

أرسلوها الى الدير ، طفلةً بريئةَ النفس ، طاهرةَ القلب ، بسّامةَ الثغر ، وضّاحةَ الجبين ؛ كلما وضعت إبهاماً فى فمها تمصه ، تمثلت فيها سذاجة الطفولة وجمالها ودَعَتُها

ونذروها لڤينوس ، فكانت ربة الحب تتسرق فى القمراء الصافية لترعى طفلتها ، ولتنفث فيها من رُقى السحر ما تُمدُّها به لمستقبل غرامى مليء . وكان الكهنة يتفرسون فى شفتى هذه الوديعة الصغيرة ألغازاً لا يدركون لها كنهاً ، وأسراراً لا يفقهون لها معنى ، إلا كُنه الصبابة الحمراء تنثال فوق الثنايا الأربع البراقة ، وإلا معنى القُبَل الناضجة يختلسونها كلما افترّتا عن ابتسامة ، أو انفرجتا لِدَغدغةٍ أو تحميش

وشبت هيرو

وتفتح الورد فى خديها الناعمين ، واستيقظ النرجس فى عينيها الناعستين ، وضحكت ڤينوس فى شفتيها الحراوين ، ونبت الخَمَلُ الحريرى يُطَرِّى صباها الغض ، وشبابها الفينان !

وعُيِّنت راهبةً لڤينوس فى سِيستوس ، المدينة الخالدة ، التى تربض على شاطئ الهلسبنت (١) الأوربى ، قبالة أبيدوس ، مدينة الأحلام ، على الشاطئ الأسيوى

ولبثت الراهبة الرائعة تؤدى الطقوس والشعائر الدينية لربة الجمال والحب ، فى برج مشيد مشرف على البحر فى قصر أبيها ،

(١) الهلسبنت هو بوغاز الدردنيل المعروف

ولبثت الشهرة تذيع محاسنها فى المدينة الكبيرة ، والصيت الرنان يتحدث عن جمالها بين الأهلين كما يتحدث الشذى عن وردِه ، والأرج عن رنده ، حتى أصبح اسمها أغنية كل فم ، وهُتافَ كل لسان

وسمع لِيانْدَرْ ، فتى أبيدوس وأشجع شبابها ، والذائد عنها فى كل حومة ، بهيرو الراهبة ، فعجب أن تكون حقيقةً كما يصفها الناس ، وحسب أن المبالغة هى التى نفخت فى شهرة هيرو ، فلم يهتم لما سمع عن مفاتنها ، وصرف ذهنه الشاب الفتىّ عن هذه الطوبى التى سلبت ألباب الفتيان ، وغدت حلماً ذهبياً لكل مدله ولهان

ولكنه كان يزداد تذكراً للفتاة كلما بالغ فى نسيانها أو تناسيها ، وإذا صح أن الأذن تعشق قبل العين أحياناً ، فلقد كانت أذن ليانذر عاشقةً وامقة ، وما برحت تلح على قلب صاحبها بالعشق والمقة ، وما برح يعرض عنها ولا يصغى لها ، حتى أعلن فى سيستوس عن حفل ضخم يقام فى هيكلها تكريماً لڤينوس وتقديساً ، وأن الشباب من الجنسين مدعوون للمشاركة فى الاحتفال بربة الجمال والحب ، وليس أولى من الشباب بتكريم الجمال والحب !

وترامى خبر الاحتفال حتى بلغ الشاطئ الأسيوى فى أبيدوس وحتى سمع به ليانذر ، فابتسم ، وشعر فى سويدائه بأول قبس من نار الحب ، فألهب إحساسه وأشعل قلبه ، وملأ أضالعه شوقاً الى هيرو وتحنانا

واعتزم المشاركة فى الاحتفال ، لا تقديساً لڤينوس ، ولكن لينظر الى الراهبة الحبيبة التى ملأت خياله ، وأصبحت مثله الأعلى الذى ينجذب دائماً إليه ، مدفوعاً بالقوة الخفية الخارقة ، خاضعاً للسحر الطوى العميق

وإذْ كان اليوم المنشود ، ارتدى الفتى أبهى ملابسه ، وانطلق يحدث نفسه أمانى الحب ، ويتغنى أغرودة الجمال ، وظل يحلم فى طريقه الى سيستوس بهذا الأمل اللمّاح ، الذى يشبه

في تحجبه في ثنايا المستقبل ، قمر ليلة مكفهرة قمطرير ، ما يفتأ يتخايل في تضاعيف السحب !

وعبر الهلسبنت في زورق أبيض جميل ، تخر ما بين العُدوتين في ساعة كانت في فؤاد العاشق المشتاق أطول من أحقاب وأحقاب !

وقصد الى الهيكل ، وطفق يدافع الجماعات ، ويزاحم الجماهير ، حتى كان بين يدى هيرو

وكانت باقات الورد تتناثر من هنا وهناك تحت قدمى الراهبة الصغيرة التي استوت على منصة ترتفع قليلاً عن مقاعد المدعوين ، مشرقة مُونقة ، كأنها زنبقة ، ملتفعة بُردها الحريري الأبيض ، متكئة بذراعها اللدنة الجميلة على سنادة المنصة ، مقابلة عينيها الدعجاوين في الجماهير المتكبكبة حولها تلتمس البركات . . .

وكانت ڤينوس قد أقبلت من مملكة الأولمب تشهد المهرجان الحاشد ، وتُشبع خُيلاءها باستملاء الشباب الهاتف باسمها ، المترنم بعبادتها ؛ وكان معها أبناؤها الغُر الميامين ، وفيهم كيوبيد

ڤينوس وكيوبيد وعطارد

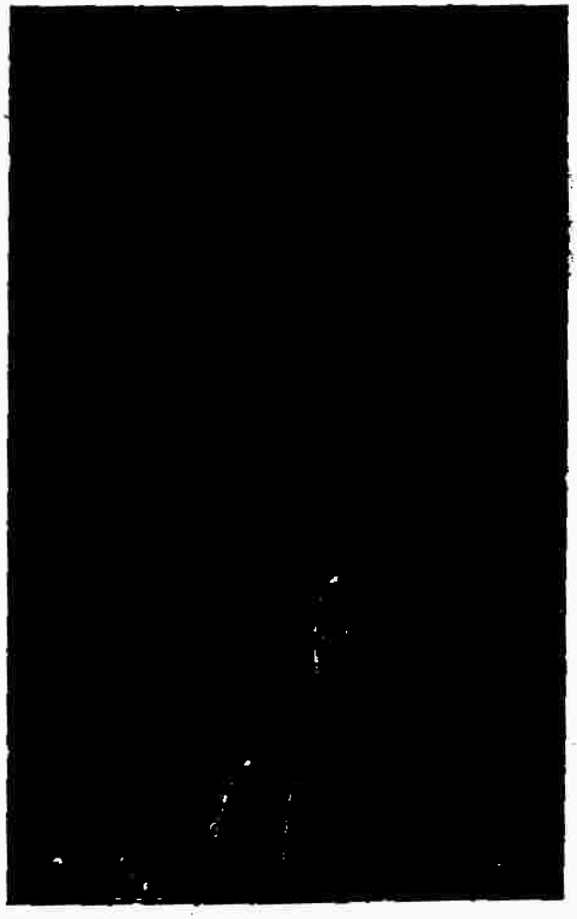

وهرمونيا ، فاختبأوا في أبراج الهيكل ، ولبثوا ينظرون إلى الملأ ويعجبون

وأرسلت ڤينوس عينيها الفاحصة في الملأ ، فرأت لياندر العاشق يرنو الى هيرو الراهبة ، وتكاد عيناه تلتهمانها التهاما ؛ ولاحظت أن هيرو منصرفة عن الفتى المسكين لا تكاد تميره نظرة ، ولا تمنحه التفاتة ، وهو مع ذاك مشرئب اليها ، ينظر نظرات كلها عبادة ، وعيناه مغرورقتان بدموع تكاد تنهمر

وتحرك حنان الحب في فؤاد ربة الحب ، وأقسمت لتعاونن في هذا المشروع الغرامي العظيم ! !

وذلك أن ڤينوس لم تكن تمجد الحب لنفسها فقط ، بل كان يثلجها ويملؤها غبطةً أن ترى إلى عبرات المحبين ، وتسمع الى رنين القُبل في شفاه العاشقين ؛ فأشارت إلى ولدها كيوبيد — رب الحب ، وصاحب السهام الذهبية والقوس ذات الوتر السُرد — فأقبل عندها ، وألقت إليه أوامرها . . .

فوتر كيوبيد قوسه ، وتخير واحداً من سهامه ، وانتهز فرصةً من هيرو كان نظرها متجهاً فيها إلى لياندر ، وأرسل إلى قلبها السهم الذي يحمل رسالة الحب ، فدخله غير مستأذن ، وملأه لوعةً وصبابة . . . وجُنّت للحظتها بالفتى . . .

وتخير كيوبيد سهماً آخر ، وأرسله هدية حارةً ، دامية ، إلى فؤاد لياندر . وما كاد يستقر فيه ، حتى أحس الفتى أنه لم يعد واحداً من هذه الأجسام الفانية الهالكة بعد ، بل هو قد صار طيفاً نورانياً ؛ وأحس مع ذاك بحب غامر لم يكن له به عهد من قبل ، جعله يفنى فناءً تاماً في هيرو الراهبة ، التي نظر فألفاها تلتهمه هي الأخرى بعينيها وقلبها التهاماً ! ! . . .

لله يا حب ما أجملك ، وما أبر ڤينوس بعبادك ! . . .

ودلف لياندر نحو المنصة ، وتمتم بكلمات خافتة ، (كأنها همس بثّ الورد للمطر !) يفهمها المحبون وحدهم ، حين يتكلمون بأطراف الشفاه والعيون ؛ فعلمت هيرو أن حبيبها يُقرئها حبه ، ويسرّها هيامه ، ويرجو منها أن تمنحه ميعاداً يلقاها فيه على حدة ، ويعبدها خلاله على انفراد

وارتبكت هيرو ، وتصارع في نفسها الخوف والحب ؛ الخوف من أن يلحظ أحد أن راهبة ڤينوس تصبو ، وبذلك يهوى احترامها إلى حضيض السخرية ، والحب الذي تكتمه في صميمها للياندر ، والذي أثاره فيها سهم كيوبيد ، ولم تر إلا أن

تهم العاشق الملح لينصرف ، ولكنه ما يزداد إلا تعلقاً بها ، وتشبثاً بما طلب اليها ، ورجاها فيه ، وتكون هيرو قد باتت حالة بين الهيام والاشفاق لا تحتمل ، فتهمس اليه أن ينتظر حتى ينصرف الناس ؛ فاذا انصرفوا ، خلت إليه ، وحدثته حديثاً موشى بالورد ، مبللاً بدموع الحب ، يختلط فيه أنين الآهات برنين الموسيقى . وتذكر له أن اتصالها سيظل حباً في حب ، وبكاءً في بكاء ، ولوعةً في إثر لوعة ، وزورة مختلسة تعقبها زورة مختلسة : « لأني راهبة كما تعلم ، وأنا خادمة هذا الهيكل الڤينوسي المقدس ، وسأظل عذراء أبد الدهر ، فلن ينتهي حبنا إلى هذا الزواج الذي أوثره وأشتهاه . فاذا كان الغسق يا حبيبي ، وتألق النجم في كبد السماء يردد أناتنا ، فاقصد إلى شاطئ البحر عند أبيدوس ، واخلع ملابسك ، ثم خض عباب الهلسبنت حين أعطيك إشارةً من مصباحي ، حيث أكون في برج قصرنا المشرف على البحر عند أقصى حدود سيستوس . فاذا وصلت ، وستصل سالماً في رعاية ڤينوس ، فهلم إليّ في البرج نلتذ آلام الحب ، ونتغنّ أشجان الهوى ، واضعة رأسي على صدرك أو واضعاً رأسك على صدري ، شاكين إلى الآلهة ما بنا من برح حتى يطلع الفجر فنفترق ، وتعود أدراجك إلى الشاطئ الأسيوي سابحاً ، فاذا كان غد ، عدتَ إليّ لأفنى فيك وأغمرك بالقبل ، ولأقرأ في نفسك ، وتقرأ في نفسي ، كتاب الحب وآي الطهر ... وبوركت ڤينوس ! »

ولقد آثرت هيرو خطة الحذر في صلتها الغرامية بلياندر ، لأن شطئان الهلسبنت كانت حرماً على السفائن والزوارق وسائر الجواري بعد ساعة من غروب الشمس ، فلو قد ركب زورقاً وعبر به البوغاز ، لعرّض نفسه لأخطار جسام من بينها عقوبة الاعدام دون محاكمة ! لذلك لم يكن بد من أن يقطع البحر سابحاً كما رسمت له هيرو

« معبودتي ! سأخوض العباب في سبيلك »
« وأطوي بحار الجحيم لو أنها تحجزني عنك »
« فلا الموج جياشاً باللهب ، ولا الأعماق تقذف بالحمم »
« ولا الفزع الأكبر في الأرض أو في السماء ؛ لاهذا ولا »
« ذاك يحول دون لقائنا يا معبودتي ! [1] »

***

فلما كان غد ، وتوارت الشمس بالحجاب ، وأقبل ليل العاشقين بشكواه ونجواه ، يمم لياندر شطر البحر ، ووقف فوق رمال الشاطئ كأنه يصدها ، ولبث يرقب البرج على العُدوة الأخرى ، وفي قلبه أمل مضطرب ، وفي نفسه قلق مستمر ، وملء يديه مُني تملأ العالم بأسره !

وظل يذرع الشاطئ جيئة وذهوباً ، وهو حين يروح أو حين ينثني ، يحملق في البرج الشيد لا تريم عيناه عنه . وكانت الرياح تدمدم في جنبات الآكام الممتدة على الساحلين ، والموج يزخر في غيران طوروس الشامخة ، والبحر يقذف سراطينه على الكثبان البعيدة النائية ، والسحب تتجمع وتتفرق كأنها موج الظلماء في خضم السماء . . .

وفجأة لمح لياندر بصيص النور في كُوَى البرج الشاهق ؛ فانفلت من ثيابه كأن الشماعة تجذبه ، ولم يمهله أن يمزق هذا الكم ويشق ذاك الجيب ، ولم يبال أن يقذف بالقميص هنا وبالبرد هناك ؛ ثم يتقذف في الماء ويأخذ في سباحته ، ترفعه موجة حتى ليحسب أنه عسك النجم ويلمس السماء ، وتخفضه موجة حتى ليخال البحر ينشطر بحرين ، وهو في أعماق القرار يؤانس التريتون ، ويجالس الأوسيانيد[1] ! !

وكانت ڤينوس تنظر من علياء الأولمب وتلهو . . . .

وما برح يصارع البحر والبحر يصرعه ، وما برح يتقدم الى أمام ويسحبه التيار الى وراء ، وكلما خانته قواه نظر الى البرج يتزود من بدره قوة ، ومن القبل الحارة التي تنتظره ثمة دفئاً ونشاطاً مجدداً !

وبلغ الشاطئ . . .

ووجد هيرو تنتظره كأنه الأمل المرتقب ، والمُنْية المرتجاة ، فهرعت اليه واستقرت في حضنه ، ولبثت تتسمّع الى دقات قلبه الواجف الذي يخفق لأول مرة بموسيقى الحب ! . . . . .

« وامتد فم الفراشة المرتجف ، يرشف رحيق القبلة الأولى من الثغر الحبيب الذي تفتحت عنه جلنارة الحب[2] »

وتمزقت السحب وتكشفت السماء ، وأطلت النجوم ترنو إلى العاشقين المطلين يتباثان ويتشاكيان ، ويأخذان في لذة الهوى الطاهر ، ونعيم الحب البرئ . . . . . .

وكانت ڤينوس تنظر من علياء الأولمب وتلهو . . .

ونسمت في الأفق الشرقي أنفاس الفجر ، فنهض الحبيبان

(١) من أدون أرنولد

(١) التريتون فتيان البحر ، والأوسيانيد عرائس المحيطات (العدد السابق) (٢) من لورد بيرون

يودع أحدهما الآخر ، ويتزودان للنهار الطويل من زاد الهوى نظرات وقبلات ! !

وفصل لياندر ، وأطلت هيرو من الكوة الصغيرة تنظر إليه وهو يداعب الموج والموج يداعبه ، والزبد يلبسه ويخلعه . .

وڤينوس تنظر وتلهو . . .

* * *

وأشرقت الشمس وتوارت ، وأقبل الليل وتنفس الفجر ؛ وعصفت الريح أو هبت رُخاءً ، والتمت الشملة تضيء للعاشق ظلمات العباب . . . واطمأن البحر إلى صاحبه حتى خاله أيسر عليه من ظهر الأرض ، فكان يطويه إلى مُنية نفسه وهُوِيَّة قلبه في كل موعد منتظر ، ثم يؤوب على متنه حين يتصدع عمود الظلماء ، وكأنه يمتطى من ظهور الموج الصافنات الجياد . . .

وكان جواً شاتياً يكاد سنا برقه يخطف الأبصار ، وزمزمة رعوده تهد جوانب الأفق ، وكان البحر يتقلب ويرتعد كأنه زلزلة تأخذه من أعماقه ، فأوجست هيرو خيفة على حبيبها ، وتعلقت به ، وراحت تغمره بالقبل متوسلة ضارعة ، ترجو منه أن يبقى بجانبها ولا يجازف بحياته في هذا اليم المصطخب ، وهى تدبر له مخبأ يأويه ذلك اليوم ، حتى تسكن العاصفة ، وينام الماء . . .

وثارت النخوة في نفس لياندر ، وشاعت الكبرياء في جسمه القوى المفتول ، وأنف أن يجبن أمام الطبيعة الساخطة الغضبى ، فطمأن هيرو واحتملها كالحمامة في يديه الجبارتين ، وطبع على شفتيها المرتعشتين قبلة تجمعت فيها روحه كلها ؛ ثم انفتل من بين ذراعيها الضعيفتين ، وهرع إلى البحر يخوض فيه ، ملتفتاً بين برهة وأخرى محيياً البدر الصغير المشرف عليه من الشاطئ . .

وڤينوس البارة تنظر من الأولمب وتلهو . . . .

وأحس في منتصف الطريق برعشة وإعياء ، ولكنه كان يهتف باسم هيرو مرة ، وباسم ڤينوس أخرى ، فتنشط الثمالات القليلة الباقية من قوته الفانية . . . . وورثت لحاله ربة الحب ، فنفخت في ذراعيه المجهودتين حتى وصل إلى شاطئ ايبدوس مهدوداً محطماً . . . وتهالك على نفسه ، فوصل إلى منزله ، وأوى إلى فراشه ليحلم بالموت المحقق الذى نجا منه منذ ساعة . . .

* * *

وغابت الشمس ؛ ولكن العاصفة ما برحت تزداد شدة وعنفواناً ، والبرق ما فتىء يطوى السماء ، وكان كل شيء ينذر لياندر بسوء المنقلب ؛ ومع ذلك فقد نهض غير مستيئس ، وقصد إلى الهلسبنت فوقف بشاطئه يبتسم للأهوال التى يضطرب بها بطنه ، ثم لمح الضوء ينبعث من كُوَى الكوخ . . . . فخلع ملابسه ، وبدأ رحلته . . . .

وكانت ڤينوس لا تنظر ولا تلهو . . .

لأنها كانت عند حبيبها أدونيس (١) الراعى الجميل تستمتع به ، بعد إذ فضحها أپوللو في حبيبها مارس (٢)

ولم يَنَلْ لياندر من البحر ما نال هذه الليلة . . . فلقد كان الموج كأنه ألواح من الثلج تتكسر على ظهور الفتى المسكين ، وتصدع ذراعيه ، وترتطم برأسه . . .

ولقد كان الماء هذه الليلة كأن شيئاً من الصَّبِر قد ذاب فيه ؛ بعد إذ كانت ملوحته تستحيل شهداً في فمه ، وعسلاً مصفى !

ولقد كان البَرَد يَنهَلُّ من السحب القاتمة ، والصقيع يَسَّاقط كَنَدَف القطن الأبيض ، فيملئ بشعر لياندر ، وينسج فوقه قلنسوة — ولا نقول تاجاً ؟ . . . — من برودة الموت . . .

وجاهد العاشق . . .

وسبَّح باسم هيرو بين موج كالجبال ، وليل كله ظلمات . . . وا أسفاه ! !

لقد نظر المسكين إلى البرج يتزود من نوره ، ولكنه لم يَرَ الشماعة تتألق كما عوَّدته . . .

لقد أطفأتها الرياح الهوج فأطفأت في قلبه بصيص الأمل . . واستولى عليه خور الفجر السابق ، ودهاه القنوط في عضلاته ، فيئس منها جميعاً . . . وضاعف النكبة شرقه بالماء حين أراد أن يهتف باسم هيرو . . .

فغاص ! . . .

ولفظه اليم جثة هامدة . . . ثم ابتلعه ثم لفظه . . .

ثم انتصف الليل ، وهيرو المشوقة حاملةٌ مصباحها الخافتَ ، بعد إذ أشعلته ثانية ، ولكن الساعات تمضى . . . ولا يصل لياندر . . .

وتنفس الصبح ، فسارعت الراهبة الهيمانة إلى البحر ، وحملقت في الماء . . . . فأبصرت الجثة الحبيبة ترتطم بأصل البرج ، كأنه حنين الجسم إلى أحلام الروح . . .

وسمعت هيرو . . .

(البقية في أسفل الصفحة التالية)

(١) سننشر أسطورته قريباً (٢) العدد السابق

ودارت بها الأرض ، وانطفأت في عينها مباهج الحياة بانطفاء أملها المشرق وبدرها البسام ! فألقت بنفسها فى الأعماق

وما هي إلا لحظة ، حتى كان الحبيبان مُسَجَّيَيْن على سرير الماء مُلَفَّفين فى حرير الزبد ! ! (١)

دريني خشبة

(١) شغف لورد بيرون بهذه الأسطورة فنظمها ، وذهب بنفسه إلى الدردنيل فتمثل لياندر وعبر البوغاز ، وتمنى لوغرق مثله هناك . . . فلا يفوت القارىء الاطلاع على تحفة بيرون في ديوانه

من الأدب الإيطالى

الليالى العشر

IL DECAMERON

ترجمة اليوزباشي الاديب احمد الطاهر

٢

قصة حب

سيمون وأيفيجينا

قال : سمعت من القصص شيئاً كثيراً وكان أحبها إلى نفسى قصة الحب التي ستسمعون . هى قصة تريكم ما للحب من قوة وبأس بالغين الغاية فى العجب ، موفيين على النهاية فى الغرابة

كان يسكن جزيرة قبرص في الزمن الخالى رجل عظيم القدر بين الرجال ، واسع الثراء بين أصحاب المال ، وكان اسمه « استيبوس » ؛ غير أن الرجل لم يكن مكتمل الحظ من السعادة ، فقد كان له ابن طويل القامة وسيم الطلعة ، ولكنه ضعيف الادراك سقيم الفهم مطبق الغباء . ولم يكن فى وسع أبرع الأساتذة والمهذبين أن يوقظوا غفلته ، أو يصقلوا طبيعته ، أو يهذبوا غلظته ، فلم يجد الوالد بداً من أن يقصى هذا الفتى المنكود عن مرآه ، ويبعده عن موطنه . فأرسله إلى منزل له فى الريف يعيش فيه بين الاتباع والعبيد . ولقد كان الفتى أميل إلى طباع أولئك وأقرب : ففيه خشونتهم وجفاؤهم وغلظة طباعهم

— كان الفتى يوماً يمشى فى المزرعة وقد أسند عصاه إلى كتفيه ، واعتمد على طرفيها بذراعيه ، فالفى فتاة بارعة الجمال مستغرقة فى نوم عميق ، قد اطمأنت إلى الحشائش الخضراء فراشاً وثيراً ، ونام عند قدميها امرأتان وخادم . لم يكن لسيمون — وهذا اسم الفتى — عهد بوجوه النساء فاتكأ على عصاه ، وحدق ببصره فى وجه الفتاة ، أن كانت بارعة الجمال فى نومها ، ساحرة الحسن فى غمضها ، هاج مرآها من نفسه شعوراً وإحساساً لا عهد له بهما ولا بأقل منهما ، وكلما أمعن فى النظر ازداد هذا الشعور وأسرف عليه هذا الاحساس ، وإنهما ليغريانه باطالة الوقوف وانعام النظر فهو لا يريم ، وينفرج جفنا الفتاة عن عينين يقرأ فيهما هذا الغبي فى طلاقة وسهولة معانى الجمال ، ومن معانيه الحلاوة والرفق والبشر . ثم هذا فمها الصغير ينفرج عن كلمات يدرك الفتى الأبله ما صيغت فيه من جمال فى اللفظ وعذوبة فى الجرس :

— « لم ترمقني هكذا ؟ أرجو أن تنصرف عني . يفزعني مرآك »

— قال الفتى : « لا أتنحى ، بل لا أستطيع »

ودار بينهما حوار انتهى عند الفتى فلم يغادرها حتى أبلغها دارها

ثم ارتد إلى أبيه وقد فهم اليوم معني من أدق معانى الحياة ، ولم يكن قبل اليوم يفهم أن للحياة معنى . قال : « يا أبت إنى أود أن أحيا حياة الرجل المهذب ، ولقد برمت بحياة المتأبدين »

كان عجباً للوالد أن رأى ابنه يفكر ويصيب فى التفكير ، ويريد ويحسن الارادة ، ويتكلم ويجيد التعبير ، فى صوت رقيق ، ولفظ رفيق

وألبسه ثياباً تليق بقدر أسرته ومكانتها وبعث به إلى المعلمين والمهذبين فقضى بينهم أربعة أعوام كان الحب فيها قوام تهذيبه وعنصره المستساغ ، فما أوفى الفتى على نهاية الأعوام الأربعة حتى كان أكمل فتيان الجزيرة أدباً وأحسنهم خلقاً

وخطب الفتاة إلى أبيها وكانت تدعى « ايفيجينا » ولكن أباها اعتذر أن كانت الفتاة مخطوبة إلى الفتى « باسيمونداس » من أشرف أسر رودس وأعرقها مجداً وانهما على نجز الزفاف

وجم الفتى وضاق الكون فى عينيه ، وأضمرها فى نفسه ليصحرن للفتاة بحبه ، وليشهدنها على هذا الحب وفعله فى نفسه ، وليطلعنها على ما خلق الحب منه من خلق جديد ، وما يستشرف اليه من سعادة ترفعه إلى مقام الآلهة وعظمتهم إذا تم منها بالزواج ؟ . .

« إما أن تكون الفتاة لى أو أكون من الهالكين »

وسار إلى أترابه من الفتيان الأشراف الأوفياء وائتمر معهم على أن يصنعوا سفينة قد استكملت عدتها من آلات الحرب

والقتال ، وتربص بها للسفينة التي تقل الفتاة إلى رودس مع زوجها باسيمونداس . فما أشرفت هذه عليها حتى رمى عليها بجذاباً ضمها إلى سفينته ، وكان أول من ألقى بنفسه بين أعدائه وساقهم إلى الحرب ورداً حتى ألقوا سلاحهم واستسلموا خاضعين . قال لهم الفتى : « ما قصدت اليكم أبغي سلابكم ولكن لأنال هذه الفتاة النبيلة التي أحبها حباً لا يعدله حب ولا يتطاول اليه حب . فان أسلمتموها إلىّ ألقيت اليكم السلم ، ومالى عليكم سبيل ، وإلا فلن تجدوا عن الهلاك محيصاً »

فتقدمت إليه الفتاة وفى مآقيها دموع . قال : « لا تبكى يا فتاتى ، فلقد ساقنى اليك حبي ومناكِ . ولن يعدل هذا الحب ما يسوقه اليك باسيمونداس من أعز ما يساق إلى الأزواج » . وفصلت عن وجه الفتاة ابتسامة شقت طريقها إلى قلب الفتى من بين الدموع . وأخذ بيدها إلى سفينته واتخذ سبيله فى البحر سَرَباً ، حتى أشرف على جزيرة كريت أن كان له فيها إخوان وخلان ، ولكن تنكرت له الأقدار ولم ينعم بهذا النصر طويلاً . فما أقبل الليل حتى أقبلت معه عاصفة نكباء ، ترسل حسباناً من السماء ، وطوحت بالسفينة بين شطى اليأس والرجاء ، حتى ألقت بها فى أحضان خليج صغير ينفرج عنه جزء من ساحل رودس على مرى قوس من مستقر السفينة الرودسية ، وما كادوا يستقرون حتى قدم باسيمونداس فى فئة من أصحابه وفى أيديهم السلاح وهاجموا الفتى سيمون ومن معه وساقوهم أسرى إلى قاضى القضاة فى رودس

وحوكم الفتى على ما اقترف فحكم عليه قاضى القضاة بالسجن خالداً فيه أبداً وقيد إلى السجن ذليلاً حسيراً

هنا فتانا تبرح به الآلام ، وتمزق جلده الأغلال ، وهناك باسيمونداس غارق فى بحار الآمال ينعم بتحقيق المنى ، ويعد العدة لزفافه إلى ايفيجينا . ولنترك الخصمين الآن ، أحدهما يشقى بآلامه ، والآخر ينعم بآماله

وكان لباسيمونداس أخ أصغر منه اسمه «هرمسداس» وكان يعلل النفس بالزواج من فتاة موفورة الحظ من الجمال اسمها « كاسندار » أغرم بحبها وأخذت بشغاف قلبه . وكان ينازعه فى الحب قاضى القضاة الذى قضى على فتى هذه القصة أن يسجن أبداً . ولقد حسب الاخوان أن سيتمان زفافهما إلى عروسيهما فى ليلة واحدة ، وأعدا العدة فى ثقة واطمئنان لهذا الغرض . ولكن قاضى القضاة لا يهدأ له بال ، ولا يزال يحتال للأمر من كل وجوهه وقد عقد العزم صادقاً على أن يحظى بالفتاة دون هذا الفتى «هرمسداس» . ولكن كيف السبيل ؟ أيختطفها ؟ وهو قاضى القضاة ؟ هذه عزة منصبه ، وهذا شرف مكانته ، يأبيان عليه هذه الفعلة النكراء ، أم يقهر فى نفسه سلطان الحب ويكظم الغيظ ويصبر على الكمد ؟ إن سلطان الحب لقوى ، وإن بأسه لشديد ، وإنه لغالب ، وانتهى به التفكير إلى حيث لم يعصمه الشرف المغلوب من سرف الهوى الناب ، ومضى ينفذ عزمه باختطاف الفتاة

ولم يعوزه النصراء فى هذه الفعلة الهوجاء ، إذ ظهر سيمون مرة أخرى على سرح القصة . وليس أيسر على القاضى من أن يصطنعه باخلاء سبيله وفك إساره لينال غرضه على ساعديه القويين فيختطف الفتاة ، وليس أحب من ذلك إلى نفس سيمون فهو سينال حريته المسلوبة — لاشك فى ذلك ولا مراء — وهو سينتقم لنفسه بنفسه من قرنه العنيد وخصمه الناجز بفجيعة أخيه فى محبوبته واختطافها من بين أحضانه

وجيء إلى قاضى القضاة بسيمون وأصدقائه فوضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، وزودهم بالسلاح وآلات الكفاح وأخفاهم فى مسكنه حتى تحين ساعة العمل

وأقبل يوم الزفاف : زفاف باسيمونداس إلى ايفيجينا وزفاف هرمسداس إلى كاسندرا وأقبلت معه ساعة الانتقام وإشباع الشهوة : انتقام سيمون من باسيمونداس خصمه ومزاحمه ، وإشباع شهوة قاضى القضاة من الفتك بهرمسداس مناوئه ومناجزه

وأحكم قاضى القضاة التدبير : فقسم أعوانه إلى فئات ثلاث : فئة اتخذت سبيلها إلى الشاطىء واجتسرت البحر بسفينة ، وثانية كمنت عند مسكن باسيمونداس ، وثالثة كانت تحت إمرة سيمون وقاضى القضاة اندفعت إلى مقصورتى العريسين الأخوين فقتلتهما واختطفت الفتاتين وولت بهما الفرار

وكانت الفتاتان تبكيان ، ولكنه كان بكاءً لا يدل على الأسى ولا على الحسرة فعيونهما كانت تنم عن رغبة ورضى

وسار الجماعة منتصرين مهللين إلى كريت وتزوج قاضى القضاة بفتاته كاسندرا ، وتزوج سيمون محبوبته ايفيجينا ، وأقبل عليهم أصحابهم وأوفياؤهم يهنئون

وعاد سيمون بفتاته المحبوبة إلى قبرس ، وحمل قاضى القضاة فتاته إلى رودس ، وعاشوا فى نعيم ورخاء ، حتى أدركهم الفناء

« عن الانجليزية » اليوزباشى أحمد الطاهر